التجليات المعرفية في فكر الامام الرضا (ع).

م.م. حسنين جابر الحلو.
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

الخلاصة

إن الخوض في سيرة أعلام الهداية شرف عظيم لنا ، فالخوص في درر كلامهم وبحر معرفتهم شرف في الدنيا ورفعة في الآخرة ، لأنهم المصطفون من الناس ، وميزوا بخصائص وفيرة وعلامات عجيبة لايمكن للقاريء أن يتفحصها ويقف عليها بعجالة بل يحتاج الى مجلدات من الكلام حتى يفهم مقاصدهم وعلومهم ، ولعل استذكار الامام علي بن موسى الرضا (ع) لهو الشرف السامي لتجسيد شخصيته الفكرية والسياسية في عبادته وتقواه التي أثرت في تغير الناس الملتزمين بمنهجية الإمامة من حيث عبادته وخضوعه لله ومساعدته للناس ، وقضاء حوائجهم ولم تمد يد له بالمعونة إلا أعانها ، وبالفكرة إلا أغناها حيث اثر في ذلك الوقت وقومه من الاعوجاج ، حيث كتبت في المبحث الأول عن حياته وسيرته ، والمبحث الثاني عن علمه ومعطياته المعرفية وقيامه ضد البطلان وكيف اثرت في مجمل الحياة آنذاك ، ولعل ان استذكار الامام علي بن موسى الرضا (ع) يأتي شأنه شأن كل المواضيع التي تعلي من قدر الشخصيات الاسلامية واظهارها على الساحة الفكرية والعلمية والجهادية .

المقدمة :

إن الخوض في سيرة أعلام الهداية شرف عظيم لنا ، فالخوص في درر كلامهم وبحر معرفتهم شرف في الدنيا ورفعة في الآخرة ، لأنهم المصطفون من الناس ، وميزوا بخصائص وفيرة وعلامات عجيبة لايمكن للقارئ أن يتفحصها ويقف عليها بعجالة بل يحتاج الى مجلدات من الكلام حتى يفهم مقاصدهم وعلومهم ، ولعل استذكار الامام علي بن موسى الرضا (ع) لهو الشرف السامي لتجسيد شخصيته الفكرية والسياسية في عبادته وتقواه التي أثرت في تغير الناس الملتزمين بمنهجية الإمامة من حيث عبادته وخضوعه لله ومساعدته للناس ، وقضاء حوائجهم ولم تمد يد له بالمعونة إلا أعانها ، وبالفكرة إلا أغناها حيث اثر في ذلك الوقت وقومه من الاعوجاج ، حيث كتبت في المبحث الأول عن حياته وسيرته ، والمبحث الثاني عن علمه ومعطياته المعرفية وقيامه ضد البطلان وكيف اثرت في مجمل

المعرفية في فكر الامام الرضا (ع).

الحياة آنذاك ، ولعل ان استذكار الامام علي بن موسى الرضا (ع) يأتي شأنه شأن كل المواضيع التي تعلي من قدر الشخصيات الاسلامية واظهارها على الساحة الفكرية والعلمية والجهادية .

المحور الاول : ولادته ونسبه :

انه الامام أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، وضمن التسلسل الامامي هو ثامن أئمة أهل البيت(ع) ،حيث انه ولد في ١١ من ذي القعدة سنة ١٤٨ وقيل سنة ١٥٣وأُمّه السيّدة تكتم، علمه واسع جدا، لذا شهد له موافقوه ومخالفوه بذلك، حتّى أنّ محمّد بن عيسى اليقطيني قال: «لمّا اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا(عليه السلام)، جمعت من مسائله ممّا سُئل عنه وأجاب عنه خمس عشرة ألف مسألة»[١].

اما موارد كرمه(عليه السلام) وسخائه الكثير، منها أنّه: مرّ به رجل فقال له: أعطني قدر مروءتك؟ فقال(عليه السلام): «لا يسعني ذلك»، فقال: على قدر مروءتي[٢]، قال(عليه السلام): «إذاً فنعم». ثمّ قال: «يا غلام، أعطه مائتي دينار»[٣].

وقد نص عليه أبوه بالإمامة،وكان عليه السلام أفضل الناس في زمانه وأعلمهم وأتقاهم وأزهدهم وأعبدهم وأكرمهم وأحلمهم وأحسنهم أخلاقاً، وكان يجلس في حرم النبي صلى الله عليه وآله في الروضة والعلماء في المسجد فإذا عي أحد منهم عن مسألة أشاروا إليه بأجمعهم وبعثوا إليه بالمسائل فيجيب عنها وقد جمع له المأمون جماعة من الفقهاء في مجالس متعددة فيناظرهم ويغلبهم حتى أقر علماء زمانه له بالفضل،وكان والده الإمام موسى بن جعفر (ع) يقول لبنيه وأهل بيته: هذا عالم آل محمد، وقد جمع بعض أصحابه ١٥ ألف مسألة من المسائل التي سئل عنها الرضا (ع) وأجاب عنها ولما وصل نيسابور[٤] عند ذهابه من الحجاز إلى مرو (عاصمة خراسان) [٥] ألتمس منه أهالي نيسابور أن يحدثهم فأخرج رأسه من القبة التي كان راكباً فيها فقال عليه السلام : (حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عن جبرائيل عن ميكائيل عن اللوح عن القلم عن الله عز وجل، ولاية علي بن أبي طالب حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) ... وهذا الحديث يسمى حديث سلسلة الذهب.

المعرفية في فكر الامام الرضا (ع).

المحور الثاني: علم ومعطيات الامام المعرفية .

ان الامام علي بن موسى الرضا (ع) صاحب بحث علمي مهم وواقعي لأنه بحث في علم الإمام بتمامه يتم في الإمامة العامة ، حيث إنه بحث يشمل علم كل الأئمة عليهم السلام ، فضلا عن علم الأنبياء وكل أولي الأمر الذين أختصهم الله بتبليغ رسالته كالرسل من أولي العزم ، أو البحث عن علم من أختصهم سبحانه بالمحافظة على رسالته من أوصيائهم ، سواء كانوا أنبياء أو أئمة أو ربانيين لهم منزلة الوراثة والوصاية على تعليم هداه ودينه للناس بعدهم ، وذلك لكي لا يختلف الناس بعد الرسل في دينهم ومعارف الله التي يحب أن يُعبد بها سبحانه ، والتي يتبعها كل ما يسعد العباد في حياتهم الدنيا والآخرة .

وذلك حيث إن لله تعالى : الحجة البالغة ، فقد اصطفى وأختار راسخون بالعلم عرفهم أمره وأيدهم واصطفاهم لتعليم دينه ، ولكي لا يختلف الناس بعد الرسل من أولي العزم ، ولكي لا يدعي كل أحد معارف دينه ولو لم يفقه حقيقته فيُحمل رأيه وقياسه أو استحسانه على دين الله فيقول بغير علم ، أو يأتي مَن يُظهر دين أو يمكر بتعاليمه ليدعم سلطان ملوك الأرض ولو كانوا ظالمين أو طغاة فيكونوا وعاظ سلاطين ، فيضلوا عباد الله بتأويلهم وأفكارهم الباطلة .

وقد قال الله تعالى : { **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا** } [٦] وعلم أول العزم وحي مع المعاينة لجبرائيل أو مع روح القدس ، وإما الأنبياء والأئمة فهو إما وحي من وراء حجاب فيكون تحديث ، والنبي والإمام محدث وملهم بأمر الله ، أو نفسه الوحي عن طريق روح القدس الذي يؤيده فيوحي بإذنه ما يشاء وهو التأييد بروح القدس من غير ظهور وتجلي ومعاينة كما لأولي العزم ، ولذا كان مقام الأولياء من أولي الأمر رسل أو أنبياء أو أوصياء وأئمة أو ربانين ، مقام عالي لم يصل له كل أحد إلا بعناية من الله بتطهيرهم ، وهو الذي يختارهم بعد أن يعلم صدقهم وصفاهم وإخلاصهم معه علما وتعليما وكل ما أمر به مما تقام به عبوديته .

وإن الإمام الرضا : هو ثامن الحجج في الدين الإسلامي بعد جده رسول الله وآبائه الطيبين عليهم الصلاة والسلام ، وله عليه السلام جعل سبحانه وتعالى وراثة علم آبائه وكتابه وتعاليم دينه في زمانه ، ثم لأبنائه المعصومين عليهم السلام بعده ، والله تعالى أورث أهل البيت علم الكتاب وجعلهم أئمة يهدون بأمره ، ويُعلمون المؤمنين تعاليم دينه الحقيقية ، فهم الراسخون بالعلم بحق والذين يَعلمون تأويل الكتاب ، وبهم حافظ الله تعالى على دينه وتعاليم كتابه بما علمهم وطهرهم وخصهم ومكنهم به من هداه ، حتى عصمهم من الخطأ والغلط والاشتباه ، فعُصم المؤمنون بهم من الاختلاف في دينه ، وكان كل من تبعهم سار على صراط مستقيم لهدى الله وتحقق بكل نعيم دائم حتى ليكون معهم في أرقى منازل الملكوت ،

المعرفية في فكر الامام الرضا (ع).
والآن يكون معهم من يخلص لله بدينه من معارفهم ومن غير خلط بما يُعلمه غيرهم ، وللمؤمنين مراتب في طلب الهدى بجد واجتهاد والتحقق به .

فيا أخي: إنه من غير المعقول أن يذكر سبحانه في كتابه المجيد فيقول : إنا له لحافظون ، أو لا يمسه إلا المطهرون ، فيقوم بالإعجاز بالمحافظة على الكتاب من التلاعب بكلماته وبالطهارة الظاهرية بأن لا يمس إلا بوضوء ، ولا يحافظ عليه بإمام صادق مطهر حسِن في كل علمه وعمله وسيرته ، وقد أختاره الله لكي يحافظ به على كتابه من التفسير بالرأي والشرح بالقياس والاستحسان والقول به بدون علم ، بل لابد أن يكون عدل القرآن مثله مطهر بنص الكتاب ولا يصدق هذا إلا على أهل البيت وهم عليهم السلام المطهرون مثل كتاب الله تعالى ، وإن لا بيّنه ولا شاهد لغيرهم في ولايته وإمامته للمؤمنين بأنها من الله ومنصب أختاره له الله مهما كان شأنه وكل مدعي لهذا المنصب غيرهم كاذب.

وإن الإمام الرضا عليه السلام : هو ثامن الحجج والأئمة من آل البيت المطهرون والواجب المودة لهم ، وهو المؤيد بروح القدس صاحب ليلة القدر وأمر الله المنزل معه على ولي دينه ، كما إن الملائكة تؤيد المؤمنين وتبارك وجودهم ، ثم أبنائه بعده كما كان هو بعد آبائه الطاهرين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين .

فيا أخي الكريم : قد عرفت آيات كثيرة تُعرف آل البيت المحمدي صلى الله عليهم وسلم وتعرف إمامتهم ، ومن ثم قد شرحنا اسم الله الحسِن الوارث عز وجل في كتاب صحيفة شرح الأسماء الحسنى ، وقد ذكرنا فيه كثير من المعارف عن علم الإمام وكيف ظهر الله باسمه في كل شيء في الأرض ، وكيف تجلى به بأكمل وأتم تجلي حين تحقق بآل محمد صلى الله عليهم وسلم ، حتى فاض منهم وتجلى منهم بعد اكتسابهم نور معارفه منه سبحانه ، فكانوا أفضل مصداق لتجلي الله وللتحقق به في الأرض وفيضه والظهور به ، وهكذا راجع صحيفة الثقلين وصحيفة الإمامة أو راجع صحيفة الإمام الحسين عليه السلام باب آيات النور وشرحها من موسوعة صحف الطيبين ، أو راجع غيرها من الكتب المختصة بالإمامة أو بعلم الإمام ، لتعرف بعض شأن الإمام وعلمه .

وان الايمان الراسخ وبدليل محكم ذو برهان رباني ، بحقيقة علم الإمام وتحققه له وظهوره به ، هو معرفة ملازمة روح القدس له وتنزله عليه في ليلة القدر بأمر الله والذي ينزل عليه فيها كل ما يحتاج له في سنته ، والكون معه يحفظه ويسدده في طول زمان إمامته ، فيكون راسخ بعلم الكتاب ويعلم تأويله وله وراثة آبائه الطاهرين ، وما ذكرنا كان مختصر البيان مع عمقه في المعرفة ، وله بيان واسع راجع ما ذكرنا من الكتب .

المعرفية في فكر الامام الرضا (ع).

وفي بيان وروايات في علم الإمام الرضا عليه السلام واحتجاجه مع الواقفية الذين توقفوا عن القول بإمامته بعد أبيه في الباب الثالث السابق ، وفي ما ذكرنا في الباب الثاني عن أبيه فيه بأنه عالم آل محمد ويأمر ولده بالجوع له لمعرفة دينهم ووصيته له والنص عليه ، ونذكر في هذا الباب شيء من الأحاديث في مسألة علم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وشموله وبعض خصائصه ، وبإقرار علماء وفضلاء أهل زمانه وممن بعدهم.

وفي بيان آخر عن بعض معجزاته وإخباره بالمغيبات بعلم محقق ، وعن سيرته واحتجاجه وخلقه وعبادته وسلوكه الذي يعرفنا فضله ويدلنا على حقائق كريمة تعرفنا إمامته وان معرفة سعة علم الإمام عليه السلام يتم بالرجوع لمعرفة ما علمنا من هدى الله ودينه وبكل ما عرفنا عنه من علم وعمل وسيرة وسلوك ، وهذا يتم بمراجعة كل هذه الصحيفة وكل ما ذُكر ونقل عنه عليه السلام من صحائف وكتب وروايات ، والتي قد تُشكل عدة مجلدات حتى لو كانت من غير شرح ، وعن أبي ذكوان قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يقول :ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قط إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه ،وكان كلامه كله وجوابه وتمثله ، إنتزاعات من القرآن ، وكان يختمه في كل ثلاث ، ويقول : لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت ، ولكني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت ، فلذلك صرت أختم في كل ثلاثة أيام[٧] ، وكذلك اليقطيني يجمع عن الإمام ثمانية عشر ألف مسألة :

قال محمد بن عيسى اليقطيني : لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ، جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب فيه ، ثمانية عشر ألف مسألة .

وقد روى عنه جماعة من المصنفين منهم : أبو بكر الخطيب في تاريخه ، والثعلبي في تفسيره ، والسمعاني في رسالته ، وابن المعتز في كتابه ، وغيرهم[٨] .

وُذكر قول آخر عن اليقطيني قال : لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ، جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب عنه خمس عشرة ألف مسألة [٩]. أقول لعل هذه الرواية قبل السابقة إذ جمع خمسة عشر آلف مسألة ثم أتمها لثمانية عشر ألف مسألة [١٠].

المعرفية في فكر الامام الرضا (ع).

هوامش البحث:

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ٧٣.
٢. مناقب آل أبي طالب ٣/٤٧٠.
٣. مقال عن الامام الرضا / محمد أمين نجف.
٤. نيسابور: إحدى مدن إيران.
٥. طوس: مدينة بإيران تسمى اليوم بمشهد الرضا.
٦. الشورى ٥٢.
٧. عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٠ . بحار الأنوارج٤٥ص٩٠ب٧ح٣.
٨.[مناقب آل أبى طالب ج ٤ ص ٣٥٠ .. بحار الأنوارج٤٥ص٩٩ب٧ح١٤.
٩.كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٥٢ ، بحار الأنوارج٤٥ص٩٧ب٧ح١٠.
١٠. قراءة في شخصية الإمام الرضا/ الدكتور رضا العطار.